الخصائص الفنية لشعر الصعاليك :

يتميز شعر الصعاليك بمجموعة من الميزات الفنية أهمها :

١.**شعر مقطوعات** : يلاحظ على شعر الصعاليك في معظمه أنه شعر مقطوعات .. ولعل مرد ذلك يعود الى طبيعة حياة الصعاليك نفسها ، تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن يفرغ صاحبه لتطويره وتجويده ، وإعادة النظر فيه ، كما يفعل الشعراء القبليون الذين فرغوا للفن فراغاً هيأتها لها قبائلها لا من أجل الفن ولكن من أجل أنفسها ، ومن الأمثلة على ذلك قول عروة بن الورد :

إني امرؤ عـافي إناني شِـركـــة ... وأنتَ امرؤ عافي إنائك واحِـــــدُ
أتهزأ مني أنْ سمنتَ وقد ترى ... بجسميَ مس الحق والحقُ جاهـد
أقسمُ جسمـي في جسومٍ كثيـرةٍ ... وأحسو قـراح الماءِ والمـــاءُ باردُ

٢.**الوحـــدة المـــــوضوعية :** إن الناظر في شعر الصعاليك تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده ، بحيث يستطيع أن يضع لكل وحدة عنواناً خاصاً بها ، دالاً على موضوعها ... فقد تكون وصفاً لمغامرة أو حديثاً عن الفرار وسرعة العدو، أو تقريراً لفكرة اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك من موضوعات شعر الصعاليك ... بل ان مطولاتهم برغم تعدد موضوعاتها نستطيع أن نردها الى أصل موضوعي واحد ، فليس التعدد هنا تعدداً في الموضوع ، وإنما هو تفرع في أغراض الموضوع الواحد..من مثل قول عروة بن الورد أيضاً :

دعيني أطوّفْ فـي البلاد لعلنــي ... أُفيدُ غِنىً فيه لـذي الحق مَحمــلُ
أليسَ عظيماً أنْ تئلم مِلمـــــــة ... وليس علينا في الحقـوق مُعَـــولُ
فإنْ نحن لم نملك دفاعاً لحـادثٍ ... تِلم به الأيام فالمـوتُ أجمـــــلُ

٣.**التخلص من المقدمات الطللية** : لم تحظَ المقدمات الطللية باهتمام الشعراء الصعاليك ، عدا بعض القصائد التقليدية ، إذ اتخذوا لهم مذهباً أخر استعاضوا به عن هذه المقدمات ، وهو مذهب جعلوا محوره "المرأة" أيضاً ، ولكنها ليست المرأة المحبوبة التي عرفناها عند الشعراء القبليين ، تلك التي يتدله الشاعر في حبها ويقف على أطلال ديارها ، ويدعو أصحابه الى الوقوف معه ، ولكنها المرأة المحبة الحريصة على فارسها ، التي تدعوه دائماً الى المحافظة على حياته ، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي . كما تلومه وتعذله على المخاطرة بنفسه ، وهي ما أطلقنا عليها "المرأة العاذلة". وليس من شك في أنها براعة ممتازة أن يضع الشعراء الصعاليك في مستهل قصائدهم صورة للمرأة العاذلة الضعيفة التي يظهر صاحبها الى جوارها بطلاً قوياً مستهيناً بحياته من أجل فكرته ، يرفض نصيحتها في رفق وأدب ، ويقابل جزعها بابتسامة الواثق بنفسه ، المعتد بشخصيته ، ويحاول أن يقنعها في قوة وأيمان بسداد رأية ، وسلامة مـذهبه في الحياة ، كما نلمس ذلك في قول عروة بن الورد :

ذريني أطـوف في البلاد لعلنــي ... أخليكِ أو أغنيكِ عن سوءِ محضرِ
فان فاز سهمٌ للمنيةِ لم أكـــــنْ ... جزوعاً وهل عن ذاك من متأخرِ
وإنْ فاز سهمي كفكمْ عن مقاعدٍ ... لكم خلف أدبــار البيوت ومنظــرِ

٤.**عدم الحرص على التصريع :** وهـذه الظاهرة توشك أن تكون مطّردة في كل شعر الصعاليك سواء ما كان منه مقطوعات أو قصائد ... ولعل مرد هـذا الأمر يعود الى تلك الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم والى تلك الحرية التي كانوا يعيشون في ظلها والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم ... تلك الثورة وتلك الحرية ظهرت آثارهما عن طريق العقل الباطن في حياتهم الفنية ، فكان شعرهم ثائراً على ألأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي ،حراً في أوضاعه الفنية .

٥. **التحلل من الشخصية القبلية :** من الطبيعي ألا تظهر الشخصية القبلية عند الشعراء الصعاليك ذلك أنهم فقدوا التوافق الاجتماعي بينهم وبين قبائلهم ، مما ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم ، وما دامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعياً فمن الطبيعي أن تنقطع فنياً . ونعني بانقطاعها فنياً تحلل الشاعر الصعلوك من ذلك "العقد الفني" الذي نراه بين الشاعر القبلي وقبيلته ، وإنما يصبح

شعرة صورة صادقة كل الصدق من حياتة هو، يسجل فيه كل ما يدور فيها ، ويصبح ضمير الفرد "أنا" أداة التعبير فيه بدلاً من ضمير الجماعة "نحن" الذي هو أداة التعبير في الشعر القبلي ، وتصبح المادة الفنية لشعرة مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته .

٦.**السرعة الفنيـــــــة :** وإذ كانت حياة الشعراء الصعاليك قلقة مضطربة لا تكاد تعرف للاستقرار، أو للطمأنينة طعماً ، فهم دائماً مشغولون بكفاحهم من أجل العيش ، ذلك الكفاح الدامي المرير الذي فرغوا تاماً ، والذي وهبوا له حياتهم ، وجعلوه مذهباً لهم يعيشون له ويموتون في سبيله ، وإذ كان شعر الصعاليك صورة صادقة لحياتهم ، كانت النتيجة الفنية لهذا أنْ اتسم شعرهم بالسرعة الفنية .

ومن أقوى مظاهر هذه السرعة "خفوت الصنعة الفنية" في شعرهم ، بحيث لا يكاد الناظر فيه يلمح أثراً من آثار التجويد الفني المتمهل الواضح الأناة ، وإنما هو حديث سريع يتدفق من نفس الشاعر دون أن يحرص عليها الشعراء المحترفون . والواقع أن حياة الشاعر الصعلوك لم تكن بالتي تتيح له من الفراغ والاطمئنان ما يجعله يتمهل في عمله الفني أو يتأنى فيه .

٧.**كثرة الغريب في شعرهم** : إن الناظر في شعر الصعاليك ليشعر أحياناً أنه أمام مجموعة من الطلاسم اللفظية ، يضطر أمام كل لفظ منها الى الرجوع الى المعاجم المطولة ، لأن المعاجم المختصرة لا تسعفه ، ويكفي أن نقرأ هذه الأبيات لتأبط شرا :

وحثحثتُ مشعوف النجاء كأنني هجَفٌ رأى قصراً سمالاً وداجنا
من الحص هُزروفٌ كأن عفاءة اذا استدرج الفيفا ومد المغابنا
أزَجُ زلوجٌ هذَرفيٌ زفازفٌ هِزَف يبذ الناجيات الصوافنا

لتتضح هذه الغرابة اللفظية التي انبعثت من أعماق ألصحراء حيث كان يعيش هؤلاء الصعاليك مشردين . ولعل عروة بن الورد أقل الشعراء الصعاليك إغراباً من الناحية اللغوية ، ولعل سبب هذا أن عروة كان يقوم في حركة الصعلكة بدور الزعيم الشعبي ، أو صاحب المذهب الذي يدعو الجماهير الى اعتناق مذهبه ، فكان طبيعياً أن يتبسط في الحديث الى جماهيره باللغة التي يألفونها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم يكن عروة بالصعلوك ، وإنما كان أنساناً بكل ما في الإنسانية من معان ، يحرص على الاتصال بمجتمعه الإنساني والعمل من أجله ، ومن هنا خلصت لغته من تلك الحوشية البدوية التي نلاحظها عند غيره من الشعراء الصعاليك ، وبخاصة تأبط شراً والشنفرى .